المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لاهوت الكلمة أو لاهوت الجدل
عند كارل بارت

د. عامر عبد زيد الوائلي.
أستاذ الفلسفة المسيحية، جامعة الكوفة.

تاريخ الارسال: 13 جويلية 2018	تاريخ القبول: 29 جويلية 2018	تاريخ النشر: 01 ديسمبر 2018.

ملخص:

إنَّ هدف علم اللاهوت لا يتوقف عند تعريف المعتقدات المسيحيَّة، بل يتجاوز ذلك ليفضي إلى شرحها وتعليلها، ومعنى شرحها الإتيان بمعنًى مترابطٍ لهذه المعتقدات، والتعليل هو إعطاء الأدلة التي تثبت أنَّها معتقدات حقَّة ... ؛ لان كلمة اللاهوت محاولة تحديد الرؤية الإلهية لصفة، أو لبيئة معينة؛ لأنَّ علم دراسة الإلهيات دراسة منطقيَّة. وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيّون على التحليل العقليّ لفهم المسيحيَّة بشكل أوضح . وينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، علم اللاهوت العقائديَّ، و علم اللاهوت الأدبيّ، و علم اللاهوت التاريخيّ، علم اللاهوت و علم اللاهوت الفلسفيّ، علم اللاهوت والطبيعيّ وغيرها.

الكلمات المفتاحية: االلاهوت، أنواعه، مجالاته، ابعاده النظرية .

Abstract.

The purpose of theology is not limited to the definition of Christian beliefs, but goes beyond that to explain and explain them, and the meaning of explaining them comes in a coherent sense of these beliefs, and the explanation is to give evidence that they are true beliefs ... because the word of theology attempt to determine the divine vision of a character, For a certain environment, because the study of theology is a logical study. Christian theologians relied on mental analysis to understand Christianity more clearly. Theology is divided into many branches, theological theology, theological theology, historical theology, theology, philosophical theology, theology, the natural and others.

Keywords: Theology , Types, Fields, Its theoretical dimensions.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

إنَّ هدف علم اللاهوت لا يتوقف عند تعريف المعتقدات المسيحيَّة، بل يتجاوز ذلك ليفضي إلى شرحها وتعليلها، ومعنى شرحها الإتيان بمعنًى مترابطٍ لهذه المعتقدات، والتعليل هو إعطاء الأدلة التي تثبت أنَّها معتقدات حقَّة ... ؛ لان كلمة اللاهوت محاولة تحديد الرؤية الإلهية لصفة ، أو لبيئة معينة [1]؛ لأنَّ علم دراسة الإلهيات دراسة منطقيَّة. وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيّون على التحليل العقليّ لفهم المسيحيَّة بشكل أوضح [2] . وينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، علم اللاهوت العقائديَّ، و علم اللاهوت الأدبيّ، و علم اللاهوت التاريخيّ، علم اللاهوت و علم اللاهوت الفلسفيّ، علم اللاهوت والطبيعيّ وغيرها.

أمَّا مصادر علم اللاهوت فهي : الكتاب المقدَّس ، المجتمع أو الأمة ، العقل ، والمعرفة . لقد كانت تلك المرجعيات تمثِّل السلطة التي تمنح اللاهوت المرجعية سواء كانت نصًّا أم اجماعًا أم عقلًا، وهي متنوعة بتنوع البيئة التاريخيَّة وما صاحبها من مؤثرات سياسيَّة أو اجتماعيَّة أو ثقافيَّة أو علميَّة، ويمكن رصده في التحولات التي أصابت اللاهوت في المنهج والرؤية، وأثَّرت في القراءات التي جاء بها والصراعات التي ظهرت، وجعلت علم اللاهوت يقوم بوظائف دفاعيَّة من خلال مقارباته النقديَّة ذات الطابع الجدليّ بين الأديان سواء كان المراد يكمن في جعل الإصلاح مقبولا أم المساهمة في التبشير بالمسيحيَّة أم غيرها من المسوغات الدينيَّة [3] ؛ فالبحث في الخطاب اللاهوتيّ الحديث والمعاصر ارتبط بالتغيرات التي رافقت الحداثة وما صاحبها من تغيير في المعرفة والعلوم التي كان لها تأثير على قراءة النصوص الدينيَّة .ولعل وصف ولترستيس يبدو أكثر تركيزًا لهذا التحول بقوله :(فالتطاحن والعداء الحقيقي كان والعداء الحقيقي كان أكثر عمقا وأبعد غورا ، فهو لم يكن بين مكتشفات معينة للعلم ، ومعتقدات معينة للدين على الإطلاق ، بل كان بالأحرى أن بعض الافتراضات الشائعة جدا التي كانت متضمنة في النظرة العلمية عن العالم اصطدمت بافتراضات النظرة الدينية للعالم – أي نظرة دينية و ليس فقط النظر النظرية المسيحية) [4]. فالخلاف ليس في الجوهر بل بين افتراضات متباينة، وهذا التباين لابد أن يقود إلى تغييرات في العرض والتفسير للدين، ومن ثم نستطيع القول إنّ هذا التغيير

[1] إيان مرخام ، علم الأهوت جذوره ومضامينه وتطوراته المعرفة ، م اللاهوت المعاصر دراسات نقدية ، المركز الاسلامي للدراسات الاسلامية ، العتبة العباسية ، ع1، بيروت ، 2017، ص295.

[2] Entwistle, David N., Integrative Approaches to Psychology and Christianity, p148

[3] See, e.g., Daniel L. Migliore, *Faith Seeking Understanding: An Introduction to Christian Theology* (Grand Rapids: Eerdmans, 2004

[4] ولترستيس ، الدين و العقل الحديث ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة ، 1988، ص 69.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

جاء من عوارض الحداثة، ونتيجة من نتائج التفكير النقديّ الذي صاحب الحداثة، وهو يختلف عن التفكير التأمليّ في العصر الوسيط، وكانت تلك القطيعة استجابة إلى التحولات العلميَّة من ناحية والحاجات الاجتماعية ، فالمثال التالي يوضح المعنى (فمعاناة شخص من عارض أو نوبة في القرن الحادي عشر كان التشخيص فيها على أنه مسحور أو متلبس من الجن .أما في القرن الحادي والعشرين فنوبة كهذه تشخص باء الصرع .المعطيات الحسية للصورة المرئية بالعيون لم تتغير ، بل الذي تغير هو التفسير)[5] ، وهكذا حلَّ مبدأُ العلم النشط "scientia active" محل العلم التأمليّ " scientia contemplative " ، الذي حول الإنسان من مشاهد سلبيّ إلى كائن له القدرة على امتلاك وتغيير الطبيعة[6] .

وقد حاربت الكنيسة الكاثوليكيَّة بصورة دونكيشوتية الردة الحديثة نحو العالم الباطنيّ و التمايز الحديث بين النطاقات بوصفها طواحين مهرطقة ، وأخيرا ، مع المجتمع الفاتيكانيّ الثاني ، جاء الاعتراف "الرسمي " المتأخر بشرعية العالم الحديث [7]. وقد ظهرت قراءات لاهوتيَّة متنوعة بحسب المناطق وما تعانيه من مشاكل؛ ففي أمريكا اللاتينيَّة هناك مشاكل مهيمنة مثل العبوديَّة، وحرية المرأة ، تولد عنها لاهوت التحرير، وهناك مشاكل أخرى أدَّت إلى ظهور قراءات جديدة في اللاهوت، فكان هناك اللاهوت الليبراليّ التحرريّ. ومقابل ذلك جاء كارل بارت باللاهوت الأصوليّ أو اللاهوت الجدليّ .

من هو كارل بارت (Karl Barth (1886 - 1968؟

من خلال البحث عنه يتبيَّن لنا أنَّه كان واحدًا من رجال اللاهوت البروتستانتيّ المهمين ، وقد عرف بسعة الاطلاع ، وهذا الاستنتاج مستفاد من كونه غزير الإنتاج ؛ حتى اعتبر من ألمع اللاهوتيين البروتستانت في القرن العشرين ؛ ولكنَّه يتميز بحسب أغلب الكتب التي تحدثت عنه بأنَّه وضع أسس العلم المعروف باسم (لاهوت الجدل أو لاهوت الكلمة) [8].

وكان هذا الاتجاه حصيلة تلك العلاقة التي أقامها بارت في العقد الذي أعقب الحرب العالميَّة الأولى مع بعض اللاهوتيين ، الذين كانوا مجتمعين على الرغم من تنوعهم على قاسم مشترك هو معاداة الاتجاه الحداثيّ في اللاهوت المتمثِّل باللاهوت الليبراليّ، وكانت النتيجة تشكل حركةً أصوليَّةً ، تعرف

[5] إيان مرخام ، علم الأهوت جذوره ومضامينه وتطوراته المعرفة ، ص 305.

[6] عباس حمزة جبر ، الوسط المتعالي ، دار نينوى ، ط1، دمشق ، 2017 ، ص 115.

[7] خوسيه كازانوفا ، الأديان العامة في العالم الحدي ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، بيروت ، 2005 ، ص 83.

[8] Donald K. McKim (1996). Westminster Dictionary of Theological Terms. Westminster John Knox Pressp76-77.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

باسم "اللاهوت الجدلي" ، وشمل أعضاء الحركة رودولف بولتمان، وإدوارد ثورنيسن، وإبرهارد غريسباخ، وإميل برانر، وفريدريك غوغارتن [9].

وقد عرف هذا التوجُّه اللاهوتيّ بوصفه يقوم على الجانب الحجاجيّ فهو وليد تلك المرجعيات المتنوعة التي انفتح عليها كارل بارت؛ إذ عرف هذا اللاهوت بوصفه نمطًا جديدًا من التفكير اللاهوتيّ على صعيدي المنهج والتنظيم الذي يقدمه لعقائد الجماعات المسيحيَّة غير الكاثوليكيَّة. فالحديث عن هذا الاتجاه اللاهوتيّ حديث يتسم بالتعقيد الشديد؛ لأنَّ بارت كان جزءًا من اللاهوت البروتستانتيّ، فهو وريث هذا الاتجاه الحجاجيّ ؛ ولكنَّه اختلف مع أحد أركانه الأساسيَّة وهو اللاهوت الليبراليّ الذي ساد في القرن التاسع عشر بتوجهٍ جديد أي لاهوت الكلمة الذي تجاوز اللاهوت الليبراليّ واللاهوت الأصوليّ التقليديّ معا تجاوزًا كليًّا.

فهذا اللاهوت الذي اتبعه بارت كان يراعي تحولات الحداثة وما أصاب الانسان من تغيير عميق في رؤيته إلى الحقيقة الدينيَّة ؛ ولكنَّ بارت جاء بموقف مختلف تماما؛ فهو في الوقت الذي اختلف فيه مع الأصولية التقليديَّة التي لا تشعر بواقع الحداثة ، كانت أصولية بارت تشعر بالحداثة وأثرها في الواقع الغربيّ ، و تختلف عن اتجاه الحداثة الذي يسمى اللاهوت الليبراليّ، بمعنى أنَّه جاء برؤية تدرك أثر الحداثة على العقل الحديث لدى الانسان الغربيّ ؛ولكنَّها تريد العودة إلى النصِّ وفهمه بشكل يعود بنا إلى ما قبل الحداثة .

وبالرغم من صعوبة هذه الفكرة وتركيبها ؛ تقوم اطروحته على الآلية التالية : (يقوم منهجه على اساس انكار أي فاصلة تاريخية بين عصر الحداثة والتراث المسيحي و بذلك أرادوا إحياء الخطاب الالهي الأول هؤلاء يتحركون على مستوى بنفخ الحياة مرة أخرى للمرجعيات التي فقدت حياتها في هذا العصر ، إن أسلوبهم في الواقع هو التحدث بشكل يعيد لهذه المرجعيات القدرة على مخاطبة الإنسان المسيحي في عصر الحداثة ، هؤلاء يريدون أستنطاق الكتاب المقدس مرة ثانية وبث الحياة في كلماته وخطاباته ، وبذلك يتمكنون بهذه الطريقة من إلغاء الفاصلة الزمنية بين التراث والحداثة)[10] .

فهذه الرؤية التي تدرك التحول في حياة الانسان الحديثة تريد منه أن يفصل بين عالمه الخارجيّ ، الحديث المرتبط بالعلم ومنجزاته وآليات الاستدلال عن عالمه الداخليّ ؛ رغبةً في استنطاق الكتاب المقدَّس مرة ثانية، وبث الحياة في كلماته وخطاباته ، وبذلك يتمكن من إلغاء الفاصلة الزمنيَّة بين

[9] Chalamet, Christophe (2004). Dialectical Theologians: Wilhelm Herrmann, Karl Barth and Rudolf Bultmann. Zurich: Theologischer Verlag. pp. 125–30. ISBN 3290173240. Retrieved 19 October 2015.

[10] محمد مجتهد الشبستري ، قراءة بشرية للدين ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، النجف ، 2007، ص48-49.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التراث والحداثة ، ولعلَّنا نستطيع أن نفهم هذا التناقض بين الفهمين التراثيّ والحداثيّ من طبيعة اللاهوت الجدليّ؛ ففي موت المسيح وقيامته يُنكر الله الإنسان ، وهذا الموت يفصل الإنسان عن الله، والزمن عن الحياة الأبديَّة، في هذا الموت بالذات وفي القيامة يتصل عالم الله الجديد بالعالم القديم ، "كما تتصل بالدائرة "، بصورة لا تقع في الاختبار ولا تدوّن في التاريخ ، حتى في الإيمان الذي ليس إلا"فراغًا" [11].

وعبر هذا التأويل يتم الربط بين العالمين الخارجيّ المرتبط بالحداثة والعقل الداخليّ المرتبط بالنصِّ والتراث والإيمان، وكانت تلك هي البداية بالتأكيد، التي فيها كسر لما هو سائد، فمنحت الرجل مسارًا لاهوتيًا جديدًا قائمًا على فهم هذا التناقض جدليًّا، وأيضا استلهام الطبيعة المتناقضة للمسيح فهو (الجامع بين الطبيعة الناسوتية واللاهوتية معا في شخصة ؛ او ما يعرف لدى علما اللاهوت " الطبيعة المتناقضة للحقيقة المقدسة " ؛ على سبيل المثال، علاقة الإله بالإنسانية تشمل كلاً من الرحمة والحساب) [12]. ولعلَّ هذا الموقف جعل الكثير من النقود توجه صوب كار بارت ؛ حيث اتهم كونه متناقضًا ؟

وهذه البداية الصادمة خلقت ردود فعل عند مؤرِّخي تاريخ الأفكار وخصوصا في تاريخ اللاهوت وتحولاته؛ لهذا تمَّ توصيف كار بارت (بعدَ أبو **الأرثوذكسية الجديدة** Got Questions)[13] ، وهو المصطلح الذي يرفضه بارت نفسه بقوة [14]. ومن مزايا هذا الاثوذكسيَّة ،" إنها رفضنا لمسؤولية معاملة إخواننا البشر بطريقة جيدة.

ونتيجة الخطيئة هي التجريد من الإنسانيَّة مصحوباً بالقسوة، وعدم الغفران والشعور بالوحدة، بالإضافة إلى العديد من الأمراض الاجتماعيَّة. أمَّا الخلاص فيكون لمن يختبرون لقاءً شخصيًّا مع المسيح – إذ ليس من الضروريّ قبول مجموعة معينة من الحقائق. وتركز الأرثوذكسيَّة الجديدة على العمل الاجتماعيّ ومسؤوليتنا الأخلاقيَّة في محبة الآخرين."

---

[11] موقع اللاهوت المسيحي : http://www.massi7e.com/theology/#ixzz53Nvp7QW9

[12] Barth in Retirement. TIME (1963-05-31). Retrieved on 2012-07-15.

[13] هي حركة دينية بدأت بعد الحرب العالمية الأولى كرد فعل لأفكار البروتستانتية الليبرالية الفاشلة. وقد قام بتطويرها أساساً اللاهوتيين السويسريين كارل بارث وإميل برونر. وقد أطلق عليها الآخرين "الأرثوذكسية الجديدة" حيث رأوا أنها صحوة اللاهوت الإصلاحي القديم. وتختلف الأرثوذكسية الجديدة عن الأرثوذكسية "القديمة" في نظرتها إلى كلمة الله والخطية . https://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-neo-orthodoxy.html

[14] Ian Barbour (1966), Issues in Science and Religion, Prentice-Hall pp. 116–119, 229, 292, 422–25, 456, 459

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ويبدو هذا جزءًا من التعدديَّة الدينيَّة، وعد احتكارها النجاة في الآخرة لمجموعة من البشر من دون غيرها ، ولكنَّ الهدف الأساس الذي كان يوجِّهُ مسار هذا التيار أنَّها تريد توفير بديل لليبراليَّة يتفق بصورة أكبر مع الكتاب المقدَّس، وهو هدف محمود، ولكنَّ تعاليمَ الأرثوذكسيَّة الجديدة تحمل في طياتها بعض المخاطر. فحين نقوم بتحديد الحق بما يتوافق مع الخبرة الشخصيَّة يكون احتمال النسبية قائماً. وأية عقيدة تقول بأن الكتاب المقدَّس وثيقة بشريَّة بحتة بها أخطاء فإنها تعمل على تآكل أساس المسيحيَّة الكتابيَّة ذاته.وهذا المسار يربط الأمر بالتجربة الدينيَّة للفرد .

ولعلَّ هذا الأمر أي النسبية هو ما جعل كارل بارت يرفض تصنيفه ضمن هذه الجماعة أو التيار ؛ ولكنَّه يبقى في المحصلة (عالم لاهوت بروتستانيّ كالفيني سويسري يعده الكثير من العلماء من أهم مفكري القرن العشرين، وقد وصفه البابا بيوس الثاني عشر بأنه أهم عالم لاهوت ظهر منذ توماس الأكويني) [15].

وهذا التصنيف من البابا الذي ينتمي إلى الكاثوليكيَّة وهو يقيم رجل بروتستاني كالفيني ، أمر له مغزى عميق كون كارل بارت بتأويله الأصوليّ ؛ كان يقترب من مشتركات مع الكاثوليك ، وبالتأكيد هذا المنهج لم يأتي مرةً واحدة ، بل إنَّ الرجل مرَّ بتحولات كثيرة وعميقة إذ انصهرت لديه أفكار، وعقائد، ومناهج، وفلسفات، وتجارب اجتماعية عميقة، جعلته يصير في النهاية بهذا الشكل .

وكانت له صولات مهمة في حركات التجديد في حقل اللاهوت فهو صاحب فكرة الفكرة المهمة وتعد من أهم رهانات التجديد التي يمكن تكثيفها بالمقولة : (إنَّ الدين يمثل جهدًا بشريًا لمعرفة الله ، ولذلك كل دين يحوي صوُّر مشوَّهة وأصنامًا بعيدة عن الله الحقيقيّ).

فنلمس في هذه المقولة حضور التراث الوجوديّ المؤمن لدى كيركيجر القائم على الانهماك بالذات ونقد الفلسفة الشموليَّة وأنموذجها هيجل والكنيسة معا، والتي نجدها تجمع بين الجماليّ والأخلاقيّ والدينيّ وقد كثَّفها ريكور في مقطع مميز (يغدو الإنسان ذاتاً متكلمة ، والوسائطَ العمليَّة التي تجعل منه ذاتاً فاعلة و متألمة ، ثم الوسائط الأخلاقية التي بفضل محمولات من قبيل :الخيِّر والعادل والواجب، تجعل منّا كائنات مسؤولة) [16].

---

[15] http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb11890397k

[16] بول ريكور ، في العلاقة بين الهيرمنوطيقا التوراتيّة والهيرمنوطيقا الفلسفيّة، ترجمة ، ترجمة :حسن أوزال، مؤمنون بلاحدود م ابواب ، ع4 ، 114.وممكن الرجوع الى اصل ما قال كيركيجرد عند عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت (د،ت)، ص46-47. وقد يبدو انه تاويل مفرط منقبلي في ارجاع المقولة من ريكور الي كيركيجر ، الا ان اجدها متناصة الى حد كبير.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لكن بالعودة إلى الفهم الجدليّ الذي يفصل بين العالم الداخليّ والعالم الخارجيّ نجده يحاول أن يتجاوز الحداثة في فهم النص على صعيد الفرد، وهي محاولة تبدو تلفيقيَّة في استبعاده أثر الحداثة ومناهجها في فهم النصّ وتفسيره . ولكنَّ تلك الرؤية قد جاءت بعد تحولات كثيرة مرَّ بها بارت .

ومن ثَمَّ (فالحديث عن المرجعيات التي انطلق منها **كارل بارت** ، تلك التحولات التي اصابت منهجه الفكري ، يمكن رصدها منذ لحظة ولادته ، تلك الحظة التي ربطته بالفكر الاصلاحي الديني حيث ولد في احد معاقل الاصلاح الكالفيني) [17]، حيث مدينة بازل السويسرية التي احتضنت ولادته، وكان والده هو الآخر أستاذًا في كليَّة اللاهوت ، ولكون بارت بروتستنتياً فقد اتخذ الكتاب المقدَّس مصدراً أساسيًّا لكل أفكاره ، وهي الفكرة التي طرحها الإصلاح كبديل عن الكنيسة، وهكذا كان الإصلاح حسب المفردة الفرنسيّة (reforme) القادمة من اللاتينيّة، يدل على معنى " إعادة البناء و على التشكيل من جديد، ولكنَّ الجديد كان مع حركة الاصلاح يومها (ظهور بعد ثالث في العلاقة هو الفرد Individu فرد لم تكن في البدايّة إذاً سوى اسم أو الإطار الذي يسمح بحماية التجربة الدينيّة من تدخلات السلطة السياسيّة إلا إن هذا الإطار يمكن أن يتطور ليصبح عندئذ إطاراً يحمي الإنسان من تدخل الدولة والكنيسة معاً) [18]. وهذا الإرث كان حاضرًا لدى كارل بارت وهو يعيش أجواء الحرب والنازيَّة .

فواجه رجال الإصلاح؛ لكونهم لم يكونوا رجالًا يسلمون بالأعراف والعادات ، بل بالأفكار الدينيَّة والتقاليد الدينيَّة التي كانت موجودة سابقا، وهكذا أراد أن يكون كارل بارت، وهو يواجه أرث الإصلاح ذاته فأخذ يتحمل مسؤوليَّة إعلان إيمانه الخاص الذي يؤمن به؛ لأنَّ البروتستانتيَّة كانت تفرض على كل امرئ أن يدرس الكتب المقدَّسة؛ ليجد أخيراً الله بواسطة يسوع المسيح ، وليحتل مكانه في المجتمع المؤمن.

ولقد كانت حركة الإصلاح البروتستانتيَّة وجوديَّة في طبيعتها حيث يصح القول إنَّ "البروتستانتيَّة الوجوديَّة " ، مرادفاً لقولنا "البروتستانتية بذاتها" . وانطلاقا من كل هذا رفض قانونية الوحي العام

---

[17] ولدت الكالفينية في القرن السادس عشر في الوقت الذي نشر فيه كالفن كتابه "أسس الدين المسيحي" وهو ابن خمسة وعشرين عاما، لتنتشر أفكاره خارج سويسرا وتجد صدى واسعاً في أنحاء متفرقة من العالم؛ رغم أن إشرافه المباشر على تنظيم الحياة الدينية كان محصوراً في جنيف وحدها من خلال ما يقوم به من مواعظ وما يلقيه من خطب ومحاضرات. وكانت الكالفينية المرحلة الثانية من الإصلاح البروتستانتي، الذي بدأ عميقا على يد الراهب الألماني المصلح الكبير مارتن لوثر. وتواصل انتشار الكالفينية وإشعاعها في العالم إلى حد يومنا. وقد كانت الكالفينية واللوثرية والبروتستانتية عموماً منعرجاً حاسماً في تاريخ أوربا، إذ انتقلت بها من عهد سيطرة الكنيسة المطلقة إلى بروز الإنسان بوصفه ذاتاً مستقلة فاعلة في الكون؛ وهي مرحلة مهمة مهدت لازدهار العلوم والفنون والآداب والفلسفة، رغم أنها فترة من أعنف فترات التاريخ الأوربي وأشدها قسوة، وما شهدته من حروب إبادة وأحكام صارمة ظالمة قضت بحرق علماء ومفكرين ورجال دين كثيرين في الساحات العامة... كل ذلك كان يشي بأن أوربا كانت في لحظة مخاض عسيرة.

[18] انظر: تزيفيتان تودوروف ، روح الأنوار ، ترجمة : حافظ قويعه ، دار محمد على للنشر ، ط1، صفاقس ، 2007م، ص64.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

في الطبيعة كما تصوره توما الاكويني، والتقاليد في الكنيسة الغربيَّة ، واللاهوت الأبويّ الرومانيّ . ورأى أن الخلاص هبة مجانيَّة لكل الناس ، ومرجو من الجميع ؛ لأن رحمة الله واسعة تحيط بالعالمين. أي إنَّه تجاوز هيمنة المؤسسة الدينيَّة المتمثلة بالكنيسة وهو بهذا ينتمي الى الإرث الإصلاحيّ الذي يحاول التمسك بالكتاب، ويتجاوز الكنيسة ومن ناحية أخرى كان يرفض إرث اللاهوت الطبيعيّ بتجريداته العقليَّة، ويرجع إلى الجانب التجريبيّ للفرد .

ومن هنا يمكن القول إنَّ الوجوديَّة المسيحيَّة أعادت إلى البروتستانتية شيئاً من الحيويَّة الوجوديَّة التي يتميز بها الكتاب المقدس والتي تميزت بها حركة الإصلاح. وفي أحيان أخرى أدخلت الوجوديَّة إلى الكنيسة أسلوب الثورة العصريَّة المميز في التعبير وفي المفردات.

وإذا أراد واحدٌ منَّا تفحص البروتستانتيَّة عن كثب في عصرنا هذا فانَّه سيعثر على كثير من أثر الوجوديَّة وفلسفتها سواء كان ذلك في الوعظ أم في المنشورات التي تتعهدها المدارس الكنسيَّة، أم في المواضيع الدينيَّة الروحيَّة ، أم في أسلوب التعبير عن الإيمان المسيحيّ لغير المسيحيين.

وقد كان كارل بارت صاحب رؤية تجديديَّة في ما صار يعرف باللاهوت الأصوليّ، وهو ما ظهر خلال تلك الحوارات التي كان يجريها مع بعض رجال التعليم اللاهوتيّ أثناء البحث والدراسة [19].فهناك عاملان كانا يكمنان وراء تحوله هذا، الأول: تمثل في أحداث الحرب العالميَّة الأولى، إذ جعلته ناقدا جادا للاهوت الليبراليّ ؛ لأنَّ أحداث هذه الحرب المرعبة أثارت الشكوك في تلك النظرة المتفائلة لتطور الإنسان ، وهي النظرة التي كان يتبناها اللاهوت الليبراليّ. أمَّا العامل الآخر: فهو المتمثل بالإعلان العام الذي أصدرته ألمانيا في سنة (1941) في ظل دعم أغلب اللاهوتيين الليبراليين لسياسات النازيين المحرضة على الحرب و خطاب زعيمها هتلر؛ فأدت به إلى اليأس تماما من اللاهوت الليبراليّ [20].

ومن هنا يمكن رصد التحولات الفكريَّة لدى كارل بارت، فهناك مرحلتان مهمتان في حياته الدعويَّة .

المرحلة الأولى من تفكيره :

إن التحول اللاهوتيّ الذي طرأ على تفكير بارت لم يحدث وهو في الجامعة، بل في المجتمع الكنسيّ الذي عايشه فيما بعد حين كان قسيساً يخدم في أثناء الحرب العالميَّة الأولى في قرية سويسريَّة تدعى (سافنفيل)، فلم يكن يسترسل بعيداً في الخيال ليسمع قصف المدفع إلى الشمال. وكان يشعر أن

[19] Thomas F. Torrance, "My Interaction with Karl Barth," in *How Karl Barth Changed My Mind*, ed. Donald K. McKim (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1986 p. 54,

[20] يحي كبير ، اللاهوت الحديث ومناهجه دراسة حول مراحل تطوره ، م اللاهوت المعاصر دراسات نقدية ، المركز الاسلامي للدراسات الاسلامية ، العتبة العباسية ، ع1، بيروت ، 2017، ص283.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التعاميم المبتذلة، والأخلاقية العامة التي كانت تصدر عن الكنيسة، كلها أمور فارغة لا معنى لها في مثل هذه الظروف القاسية، ظروف الحرب. وكان يصغي إلى ما يقوله له العهد الجديد بشأن رسالة الخلاص. وهكذا، وفي سنة (1918) نشر كتاباً تعليقاً على رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، فكان الكتاب الذي هز أركان العالم اللاهوتيّ؛ فلم يكن كتاباً ينطوي على أسلوب البحث العلميّ الأدبيّ الصارم، ولا كتاباً يحوي على الأدلة والبراهين الموضوعيَّة على صحة المسيحيَّة وعقيدتها، بل كان إعلاناً وجوديًّا في نزعته؛ ليعلن للناس قداسة الله، وهبة المسيح في الفداء. والتبرير بواسطة الإيمان. هذا التأمل الذي يستجيب إلى حاجات الواقع أثناء الحرب هو ما وصف بكونه "لاهوت الكلمة." [21]

وبعد ثلاث سنوات أخبرنا بارت في الطبعة الثانية المنقحة لهذا الكتاب عن الأثر العميق الذي خلفه في نفسه كل من كير كغارد ودوستيفسكي. وهنا نرى وقع الوجوديَّة الخاص على رجل كان يفكر تفكيراً وجوديًّا.

ولكنَّ بارت أعلن انسحابه من الوجوديَّة فيما بعد؛ لأنه كان يرغب في أَلَّا تكون رسالة الكتاب المقدس رهناً بفلسفة خاصة، فضلاً عن هذا فإن بارت كان يخشى انغماس كير كغارد في الانطواء على الذات، وفي تركيز الاهتمام على القنوط واليأس، وعوضاً عن هذا كان يؤثر التوكيد على الناحية الإيجابيَّة في الإنجيل مفسراً إياها حسب التقليد الذي درج عليه المصلحون البروتستانت.

وإلى جانب هذا كان عنده ولعٌ بلاهوت "شلاير ماخر" (1768-1834) Schleiermacher [22] الذي كانت تعدُّه جماعة اللاهوت الحر أباً لها. بل ونظر الكثيرون إلى شلايرماخر على أنه " أبو اللاهوت الحديث."[23] وهو أوَّل من حاول تحرير الدين من مضامين الفلسفة، ومتاهاتها، وعمل على بلورة الفكر الإنجيليّ التحرريّ ؛ ودرس كارل بارت "لاهوت التحرر"[24]

---

[21] Donald K. McKim (1996). Westminster Dictionary of Theological Terms. Westminster John Knox Press. صفحات 76–77. ISBN 978-0-664-25511-4. اطلع عليه بتاريخ15 July 2012.

[22] فريدريك شليرماخر هو ابن أحد قسوس الجيش الألماني، تعلم في مدارس المورافيين، ودرس الفكر الفلسفي وتطوره منذ افلاطون، وتأثر بسبينوزا، وجو تفريد ولهلم ليبتيتز، وايمانويل كانط. كما تأثر بالحركة الرومانسية " وعلى رأس هذه الطائفة (الرومانسية) فنتوريني1848 - 1768) K. H. Venturini م) ثم باهرد1792 - 1741) K. F. Bahrd م) ويظن كل منهما أن يسوع كان عضوًا في شيعة الأسينيين Esseniens وقد تعلَّم وتدَّرب على يد معلمي هذه الشيعة. ونظريتهما عن قيامة يسوع تقول: أن يسوع أُنزل من على الصليب فاقد الوعي وعالجه أطباء أسينيون إلى أن أسترد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات : حنا جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، ج 1، ص 158.

[23] ايريل كيرنز ، ترجمة عاطف سامي برنابا ، المسيحية عبر العصور، ص 485.

[24] الوجودية المؤمنة من ابرز ممثليها : الفيلسوف الدانماركي (سورين كيركجارد) (1813-1855)،في نزعته الوجودية المؤمنه ، وفيهم الفيلسوف الالماني المعاصر (كارل يسبز) (والفيلسوف الفرنسي (جابرييل مارسيل) والاثنان كاثوليكيان. احدهم الماني والآخر فرنسي اذ

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وفي برلين وبعض الدول الألمانيَّة يلاحظ أنَّ لاهوت التحرير هو محاولة لتفسير الكتاب المقدس من خلال حالة الفقراء، بحساسيَّة ثوريَّة تراعي تحقيق العدالة الاجتماعيَّة بين الطبقات من خلال إعادة توزيع الثروة بهدف رفع المستوى الاقتصاديّ للفقراء . فهذا الاهتمام بشؤون الناس يعد جزء من لاهوت التحرير ، وهو يعكس انفتاحه على القراءات الفلسفيَّة والوجوديَّة يومها حيث نشأ بارت في مرحلة ازدهار الفكر الإنجيلي الحر، وتأثر بآراء الوجوديين [25] ، كما تأثروا هم بآرائه، واقتبسوا منها في كتاباتهم. (ومن الإنصاف أن نذكر أن كيركجارد انتقد الوجودية مشيراً إلى هذه الناحية بالذات).

وعاش بارت مرحلة تطور اقتصاديّ وصناعيّ مهمة، وأُرغِمَ على الخوض في معالجة مشاكل العمال مع أرباب العمل؛ لأنَّ أبناء أبرشيته كانوا من عمال المصانع. ولما حاولت النازيَّة السيطرة على الكنيسة وقف بارت في وجهها، ورفض يمين الولاء لها، ودعا إلى عقد مؤتمر بارمن Barmen في(10 أيار 1934)، الذي صدر عنه إقرار كتبه بارت وجاء فيه: " إن الكنيسة المسيحية متحررة من أي سلطان أرضي، والسيادة فيها لله وحده، وشريعته المهيمنة على كل الشرائع". وأقر بكهنوت جميع المؤمنين، ومساواتهم أمام الله، وعلى الكنيسة أن تحترم جميع الناس. ثم خُتم المؤتمر بدعوة المسيحيين في ألمانية إلى الاتحاد في مواجهة النازية، فأدخل المعتقلات، وطرد من ألمانية عام 1935. ولما دحرت ألمانية عام 1945، وقسمت إلى أربع مناطق ولم يكن ثمة من يتحدث باسم الشعب المغلوب على أمره، انبرى بارت يناضل في سبيل بلاده، ويسمع الحلفاء وغيرهم "أن انتصارهم كان بمعونة الله على الهتلرية والاستبداد، لا على الشعب".

وهكذا نلمس أنَّ بارت كان يقارب الواقع مقاربةً تجمع بين اللاهوت التحرريّ والفلسفة الوجوديَّة التي تسعى الى تحرير الانسان من آثار الحرب على شخصيته وإيمانه الفرديّ .

المرحلة الثانية تحوله إلى الأصوليَّة:

فقد رفض أن يتدرب على اللاهوت الليبراليّ الذي غلب على بروتستانتيَّة أوروبا في القرن التاسع عشر [26] . ، ولكنَّ منهجه أصابه تحول بعد ذلك كبير . إذ عمل بارت بعد ذلك إلى التخلص من كل ما علق في كتبه وآرائه من أفكار الوجوديين، واللاهوتيين الأحرار. وهاجم آراء شلاير ماخر طوال ربع قرن. و لم يقاتل بارت مع الليبراليين فقط، ولكن الحلفاء الذين تحدى بعض استنتاجاته المتطرفة. حين اقترح

هناك سمات مشترك يمكن ان نطلق عليهما توصيف ديني بوصفها قاسم مشترك يميزهما عن الاخرين لكن هذا لا يعني عدم وجود مشتركات مع الاخرين رغم اختلافهم الديني .

[25] مثل تيار الوجودية المؤمنة كل من : كيركجور Soren Kierkggrd (1813-1855) ، و غابريل مارسيل (1889-1969) ، و (كارل جاسبرز) (1883-1969) وهناك اخرون الا ان صاحب التأثير هو بلا منازع كيركجور ، قبل ان يتحول عنه .

[26] Church Dogmatics IV.1, Edinburgh: T&T Clark, 2004.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

" إميل برانر Emil Brunner " (١٨٨٩-١٩٦٦) أن الله كشف نفسه ليس في الكتاب المقدس فقط، ولكن في الطبيعة أيضا ؛ فردَّ بارت في سنة(1934) مع مقال بعنوان "لا جواب إميل برانر". بارت يعتقد أن مثل هذا "اللاهوت الطبيعيّ" كان جذور التواطؤ الدينيّ ومعاداة الساميَّة من "المسيحيين الألمان" - الذين دعموا الاشتراكية الوطنية لهتلر.

وفي هذا الردِّ أجد كارل بارت يحاول تخوين من نقده عبر ربطه بالنازيَّة التي كانت رمزًا للشر والشموليَّة من ناحية، ومن ناحية أخرى يوضح موقف اللاهوت الطبيعيّ الالمانيّ [27].فهو كان ضد النزعة التجريديَّة العقليَّة .

وبالرغم من أنَّ بارت أنكر على الوجوديَّة فلسفتها هذه فإنه في كتاباته حافظ على الطابع الوجوديّ، وفي الوقت نفسه كان هنالك لاهوتيون آخرون يحاولون توطيد نواح معينة خاصة من الوجوديَّة، وأشهرهم، على وجه الترجيح، كان رودولف بولتمان (Rudolf Bultman) (1884-1976) الذي كان يقترح إعادة النظر في تفسير العهد الجديد تفسيراً جذرياً شاملاً يقوم على فلسفة هيديجر. وليس لنا-إذا أردنا أن نأمن العثار- أن نتكهن نتائج هذه المحاولات، فإنها قد تكون محاولات ناجحة كما أنها قد تكون مدعاة إلى الخيبة فتزول. إنَّما الشيء الواضح هو أن اللاهوت البروتستانتيّ قد استعاد نشاطه وحيويته، وأنه لن يتنازل في القريب العاجل عن الطابع الوجوديّ الذي يتميز به العهد الجديد كما تميزت به حركة الإصلاح الإنجيليّ.

[27] اللاهوت الطبيعي هي فرع من اللاهوت يعتمد على العقل والتجارب العادية. وبالتالي فهي تختلف عن الوحي الديني الذي يقوم على أساس الكتب المقدسة والتجارب الدينية من مختلف الأنواع.ماركوس ترينتيوس فارو (116 ق.م-27 ق.م) في كتابه المفقود "Antiquitates rerum humanarum et divinarum"، ميّز بين ثلاثة أنواع من اللاهوت : اللاهوت السياسي واللاهوت الطبيعي واللاهوت الأسطورية. فرجال الدين في اللاهوت السياسي هم الناس الذين يتسائلون عن كيفية تعامل الآلهة في الحياة اليومية وإدارة معبوداتهم، ورجال الدين في اللاهوت الطبيعي هم الفلاسفة الذين يسألون عن طبيعة الآلهة، ورجال الدين في اللاهوت الأسطوري هم الشعراء وصائغي الأساطير. أول من استخدم هذا المصطلح الرواقيين على يد أوغسطينوس.إذًا فاللاهوت الطبيعي هو جزءً من فلسفة الدين الذي يتعامل مع وصف طبيعة الآلهة أو في التوحيد، وما يؤكد أو ينفي صفات الله، وخصوصًا وجود الله فلسفيًا دون اللجوء إلى أي فرضية خاصة لوجود قوى خارقة.انظر بواسطة الموسوعة الحرة المراجع الاتية :

- Paley ،William (2006). Natural Theology, Matthew Daniel Eddy and David M. Knight (Eds.). Oxford: Oxford University Press.

_ Alexander ،Denis؛ Numbers ،Ronald L. (2010). Biology and Ideology from Descartes to Dawkins. Chicago: University of Chicago Press. 107 صفحة. ISBN 0-226-60841-7.

_ Hitchcock, Edward. "Making of America Books: The religion of geology and its connected sciences". University of Michigan

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبعد الحرب، شارك بارت في جدل حول التعميد (على الرغم من أن اللاهوتيّ الإصلاحيّ، رفض معمودية الرضيع)، التفسير، من رودولف بولتمان (الذي نفى الطبيعة التاريخية للكتاب المقدس ، بدلا من الاعتقاد بأنها أسطورة معنى لها شفاء الروحي القلق) [28].

ويشدِّد بارت في فكره اللاهوتيّ على سيادة الإله ، خاصةً خلال تفسيره للمذهب الكالفينيّ القائل بوجود الاصطفاء. وأشهر أعمال بارت رسالة بولس الرسول إلى الرومان (The Epistle to the Romans)، التي كانت علامةً فارقةً على تحرره من فكره السابق؛ وعمله الضخم المؤلف من ثلاثة عشر جزءًا (العقائد الكنسيّة) (Church Dogmatics) الذي يُعد واحدًا من أكبر الأعمال اللاهوتيَّة المنهجيَّة المكتوبة على الإطلاق [29].

بدأ بارت أول تعليق له رسالة بولس الرسول إلى الرومان[30] (جير دير رومربريف) في صيف سنة(1916) حيث كان لا يزال راعي في سافينويل، مع الطبعة الأولى التي ظهرت في ديسمبر سنة(1918) (ولكن مع تاريخ نشر سنة 1919). وعلى قوة الطبعة الأولى من التعليق، دعي بارت للتدريس في جامعة غوتنغن. ثُمَّ ذكر بارت في أكتوبر سنة(1920) أنه غير راض عن الطبعة الأولى، ونقَّحها بشكل كبير خلال أحد عشر شهرا بعد الانتهاء من الطبعة الثانية في سبتمبر سنة (1921) [31]. ، وقد كانت البداية فيسنة (1921) بإصدار سلسلة من الأبحاث تحت عنوان "العقائد المسيحيَّة"، متأثراً بكالفنCalven ورفاقه من رجال الإصلاح الدينيّ. وصدر هذا العمل في اثني عشر مجلداً، تناول فيها خمسة موضوعات هي: مبدأ كلمة الله، مبدأ وجود الله، مبدأ الخليقة، مبدأ المصالحة، مبدأ الفداء. ونشرت هذه المجلدات تباعاً، وطُبع الجزء الخامس منها بعد وفاته، فكانت ذات منحى جديد مخالف لما ورثه بارت عن اللاهوتيين الأحرار أو الوجوديين، وبرهاناً على قدرته في استيحاء أفكاره من الإرادة الإلهية. واتفق مع اللاهوتيين الكاثوليك في النظر إلى "عقيدة التسويغ" [32] التي يراها إعلاناً للعدالة الإلهيَّة، وبوساطتها تدرك قوة كلمة الله. وقد أضاف لهذه الرسالة أيضًا كتابًا في العقائد المسيحيَّة. و مبادئ الروح القدس، وقد نشره بالتعاون مع أخيه الفيلسوف هاينريش (1930) Heinrich وغيرها الكثير.

---

[28] Shocking liberalism: https://translate.google.iq/?hl=ar&tab=mT&authuser=0#en/ar/Shocking%20liberalism

[29] Thomas Forsyth Torrance (1 December 2000). Karl Barth: An Introduction to His Early Theology, 1910–1931. T & T Clark. ISBN 978-0-567-08762-1. 15 اطلع عليه بتاريخ July 2012.

[30] الكتاب المقدس - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: https://st-takla.org/pub_newtest/45_rom.html

[31] Kenneth Oakes, *Reading Karl Barth: A Companion to Karl Barth's Epistle to the Romans*, Eugene: Cascade, 2011, p. 27.

[32] https://marefa.org

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

حاول بارت أن يبرأ من الفلسفة فبدا كأنه يعارضها، ولا يكترث بالفلاسفة، وما يكتبون. ولكنَّه من جهة أخرى لا يعاكس الفلسفة كما وضعها كبار المعلمين أمثال: أفلاطون وكَانت Kant، بل حاول تكميلها ليضعها في خدمة مقاصد الإنجيل والأخلاق المسيحيَّة.

قال الدكتور كارسون في كتابه الصادر سنة (2016)" سلطة الكتاب المقدس " وكان حذرًا في وصف" كارل بارت " فقال: " بصراحة أجد بارت محير " وهو نعت يعبِّر عن حيرة وحذر معا ، فبارت كان له تأثير كبير وصادم في أحيان كثيرة، فبارت في تفكيره يريد أن يستعيد حيوية الكتاب المقدَّس من دون أن يراعي التغيُّرات الكبيرة في ذهنيَّة الإنسان المعاصر واختلافه عن الإنسان الذي عاش في زمن المسيح، وبالرغم من هذا يريد إن يستعيد روح الكتاب المقدس وكأنَّه موجه لنا اليوم، وبهذا يمنح كلمات النصِّ حيوية وحياة وكأنَّ الله يخاطبنا بشكل مباشر ، ولكنَّ هذا الكلام بحاجةٍ إلى إيمان به من المؤمنين .

وعلى الرغم من تأكيده ما ذهبت إليه الدراسات التاريخيَّة من وجود أخطاء في الكتاب اختلافنا مع السلطات الكنسيَّة وما قدمته من صورة عن المسيح، ولكنَّ الكتاب بالرغم من كلِّ هذا لا يفقد صدقه وما يحمله من رسالة إلى الناس .

وقال كارل بارت عن قوة الإنجيل إنَّه كلمة الله القويَّة التي " تستجوبه إلى عمق كيانه ، وتقتلعه من ضماناته واقتناعاته ، ولذلك فهي تنفض عنا غبار كل العلاقات التي تستبقيه حبيسًا داخل مُثُله حتى يستطيع التحرر بكل إخلاص لله وللعمل الجديد العجيب لنعمته في يسوع المسيح."[33].

وعدَّ بارت أن العهد الجديد من بدايته إلى نهايته شهادةً حيَّة عن حقيقة يسوع في التاريخ، وأقتنع بارت أن الأمور التاريخيَّة محددة، فهي ترتبط بالنصوص ولا تتجاوزها؛ ولذلك اقترح استخدام التفسير اللاهوتيّ بدلًا من التفسير التاريخيّ، وذكر أنّ العلوم التاريخيَّة عاجزة عن فهم حقيقة يسوع؛ ولذلك يجب أن نأخذ شهادة العهد الجديد للسيد المسيح ببساطة من دون أن نحاول إضافة شيء آخر بمهارتنا وأساليبنا العلميَّة، وقال " فإننا نستطيع أن نرى المجتمع المسيحي الأول قد عرف المسيح كما هو. إن المجتمع المسيحي آمن به كما كان.. ومع ذلك فلقد كان متميزًا عنهم في قدرته على عدم الهروب من مهمته الخطيرة، ومتميزًا في جلاله ووقاره وعدم قابليته للتغير وبهذا فقد فاق كل حدود حياته وزمانه" [34] .

وأَكَّد بارت مسألة الوحي و الانكشاف الدائم ، فعلى وفق لاهوته على الإنسان أن يجد الكشف الإلهيّ في داخله من خلال تلاوة الكتاب المقدس . ويرى أن كلام الله المكتوب (الكتاب المقدَّس) ليس

[33] د .ق جون لوريمر- ترجمة عزرا مرجان - تاريخ الكنيسة جـ 5 ص 70.

[34] Karl Barth, Church Dogmatic, VOL , IV , 2 , trans G.W. Bromily, Edinbourgh 1958. P. 156.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

هو كلام الله الحقيقيّ ، بل هو مجموعة من العلامات والإشارات على كلام الله . وبناءً على هذه التعاليم فإن الكلمات و العبارات ليست كلام الله ؛ لأنَّ كلام الله ، هو واقعة تحدث ، وهذه الواقعة يجب أن تحدث. وكل من يقرأ كلام الله المكتوب يجب أن تبعث فيه الحياة ويتلقى ذلك الكلام و الكشف الإلهيّ [35].

ويبدو أنَّه يرى أنَّ الكتاب في مدونه هو حروف ورموز تحيل إلى معنى هو المغزى الذي يريده صاحب النص الذي هو في حوار دائم مع المتلقي للكتاب؛ فالتلقي ساهم في انجاز تجربة دينيَّة بين الإله والإنسان .

الإيمان بالكتاب والميلاد العذريّ :

مقاربة بارت إلى فهم النص نجدها تظهر في نظرته التفسيريَّة لأحد الأحداث المهمة في العقيدة المسيحيّة وهو فيها يواصل اختلافه مع اللاهوت الليبراليّ الذي وقف موقفَ ناقدٍ للمفهوم "الميلاد العذريّ "

1- الموقف الليبراليّ : أن جماعة المتحررين ترفض رفضًا باتًّا كلَّ ما هو خارق للطبيعة وكل ما لا يمكن تفسيره...

2- موقف كار بارت : وجاء موقفه كردِّ فعلٍ على الجماعة المتحررة أي اللاهوت الليبراليّ أو المتحرر فيذكر بارت أنَّ عملية التجديد أو الميلاد العذريّ حقيقة واقعية حدثت فعلا في عالمنا و في أرضنا بالطريقة التي يصفها لنا الإنجيليون . ويرفض بارت بشدة قول القائلين إنَّ النصوص الخاصة بالميلاد العذريّ ماهي إلَّا أساطير خلقتها لنا الأديان ، البوذيَّة ، و المصريَّة و اليونانيَّة ...ويعتقد بارت أنَّ فصول الكتابية التي تتكلم عن الميلاد العذريّ تختلف كل الاختلاف عن هذه الأساطير. أمَّا إمكانية تحليل هذه العقيدة وقبولها عقليًّا ومنطقيًّا وعلميًّا ، ولكنَّ هذه العقيدة ليس عقليَّة بل هي حقائق روحيَّة نقبلها بالإيمان فقط [36] .

ففي هذا الموقف تظهر رؤيته اللاهوتيَّة واضحةً في تفسير الإنجيل إذ يسأل كارل بارت ، هذا السؤال : هل الإيمان المسيحيّ يتطلب منا قبول الميلاد العذريّ ؟ ويواصل بارت شرحه فيقول : قد يجوز أن يكون للإنسان إيمان صحيح من دون الاعتقاد بالميلاد العذريّ ؛ ولكنَّ هذا الأمر يتوقف على الله وعلى مشيئته ؛ فإذا أراد الرَّبُ أن يعلن ذاته لأحد، و يعرِّفه بسرِّ يسوع المسيح ، فإنَّ هذا الإنسان يملك الإيمان المسيحيّ الصحيح حتى خارج الكنيسة .

[35] حناجر جرجيس الخضيري ، تاريخ الفكر المسيحي ، المجلد الاول ، دار الثقافة ، القاهرة ،1981، ص 284-285.

[36] حناجر جرجيس الخضيري ، تاريخ الفكر المسيحي ، المجلد الاول ، ، ص189.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ للكنيسة الحرية في أن تجعل من عقيدة الميلاد العذري تعليمًا يتفق مع أهواء الناس ضعفاءً كانوا أو أقوياء. فالكنيسة تدرك جيدا معنى ما عملته حين وضعت هذه العقيدة كحارس على عتبتها؛ فهي لا تسمح لأحد أن يدَّعي لنفسه هذا الحق و أن يعبر هذه العتبة على عجل من دون أن يعرف أنَّها محروسة ، وأن الذي يدعي لنفسه هذا الحق يخاطر بنفسه مخاطرة عظيمة .فواجبنا إذًا أن ندعو المؤمن لقبول هذه العقيدة والإيمان بها ...[37] فهو هنا في رؤيته الأصولية هذه، والتزامه الحرفيّ بالعقيدة نجده يؤكد أيضًا أمرين ،الأول: يؤكد شمولية الخطيئة كل البشر؛ لأنَّ الإنسان عن طريق قانون التضامن و النيابة صار مسؤولاً بتضامنه مع آدم ، وبهذا التضامن أصبح مسؤولًا عبدًا لا حرية له في الاختيار[38] .

أمَّا الأمر الآخر: يؤكد أن لا فعل ؛ إلَّا فعل الله إذ يؤكد بارت أنَّ اختيار الله هو الأساس، ولعلَّ هذا يظهر في اعتقاده بان لا يوجد في البشريَّة كلِّها باب أو نافذة استطاع الله عن طريقها الدخول إلى العالم ؛ لأنَّ الطبيعة البشريَّة محكومة بالهلاك بسبب الخطيئة ؛ لأنه كما يقول الكتاب :"الجميع زاغوا و سندوا معا ، ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد ..." (روميو 3:12)

وهكذا كان موقف مريم ، فاختيارها لم يكن إذًا نتيجة قداستها أو لاستعدادٍ طبيعيٍ فيها ، أي لأنه جعل فيها بطريقة معجزة ...وهو ما تسميه الكنيسة الكاثوليكيَّة "الحبل بل دنس " ، بل كان اختيارها وقفا على حرية الله وإرادته [39].

وهكذا أعاد كلَّ شيءٍ إلى الله باختياره الحر وإرادته ، والإنسان مجرد عبد بفعل وراثته الخطيئة .فهو بهذا يختلف اختلافا كبيرًا مع لاهوت الأحرار الليبراليين .

أفكار كارل بارت اليوم :

مازالت أفكار بارت حاضرةً اليوم ومحل اهتمام الكثير من المهتمين بتراثه اللاهوتيّ ، ومرد هذا الاهتمام إلى ثلاثةِ أسباب هي :

أولًا : كان بارت الأكثر ثراءً وربَّما لاهوتي خلَّاق في القرن العشرين؛ لذلك لا عجب أنَّ الناس يدرسون كتاباته.

ثانيًا : تفكير بارت في عمقه يتمركز حول الله ، ثُمَّ يأتي المسيح محورًا له ، ومن ثم تأتي في العمق أيضا نعمه أو البشارة مركزا له .

---

[37] نفس المصدر ، ص187.

[38] نفس المصدر ، ص191.

[39] نفس المصدر ، ص 194-195.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وثالثا : رأيه في الكتاب المقدس ، وإن لم يكن متوافقا ، تماما مع الطائفيّة التقليديّة ، ولكنَّ هذا الرأي يتسم بالتعقيد والخفية؛ وهنا لابدَّ أن يحرّض العلماء على قراءته و تأويله [40]. وبارت في جهده نحو تفسير هذا الحدث ، اعتقد أنَّ يوسف صار أبًا ليسوع بالتبني ويقول :" ان الاصطلاح اليوناني eggenysen (راجسن) ولد يمكن ان يستخدم بمعنى آخر غير المعنى ابسيولوجي [41].

وبالرغم من أنَّ الإنجيل لا يتضمن أيَّ إعلانٍ عن التعبير عن الأصل وقيمة الكتاب المقدس ، يرى أنَّ يسوع المسيح استخدمها بما يتفق مع الايمان العام ، اي كلمة الله.

ويبدون أنَّ كارل بارت أكَّدَ أمرين، الأول : أنَّ الكتاب المقدس تأتي قداسته حين يتم تلقي هذه الكلمة من المؤمن . أمَّا الأمر الآخر: فهو الإلهام فمن المتعارف عليه أنَّ الإلهام هو فعل غير عادي يأتي بتأثير قوى مفارقة الالهية ، وكان التراث التوراتيّ قد جعل من النبي وسيلة الوصل بين الناس والله؛ فهو ينقل كلمات الله إلى الناس ، وبالرغم من أنَّ المسيح ربط بين كلمات الله بما يتفق مع الإيمان العام؛ جاءت رؤية بارت تؤكّد تأويلًا قد لا يتفق مع الخطاب الإصلاحيّ الدينيّ عند كالفن، فكالفن كان قد تحدث عن سعادة الإلهام من الكتاب المقدس بوصفه النصَّ الذي يتنفس الله من خلاله ، و كارل بارت يذهب ألى أبعد من النص، بل الله بشكل مباشر إذ (يفضل التحدث عن التنفس من روح الله في كل من النص والمؤمن، وبالتالي الابتعاد عن كل من تفسير الكتاب المقدس ومن التقليد الإصلاحي. ويبدو أنه يعترف بعده عن كالفن ذاته) [42].

وهذا التأويل يغدو أكثر وضوحًا حين نربطه باختلافه مع اللاهوت الليبراليّ الذي كان يحاول أن يرتبط بالإنسان وواقعه المعاش ضمن حدود التصور الذي جاء به شلايرماخر؛ فهو يبدأ بالاستقراء من الإنسان إلى الله متخذا من التجربة الإيمانيَّة سبيلًا. أمَّا بارت فهو يتخذ منهجا معاكسًا يؤكد فيه النزول من الله إلى الإنسان ، ففي الوقت الذي يؤكد اللاهوت الليبراليّ عند " شلايرماخر" بقوله (عندما ينظر الانسان لباطنه يرى الله ، اما بارت فإنه يرى بأن كل السبل التي يسلكها الإنسان نحو الله ستؤدي إلى طريق مغلق) [43]. أمَّا السبيل الذي سلكه بارت فهو أن جعل من الممكن للاهوتيين مرة أخرى أن يأخذوا الكتاب المقدَّس على محمل الجد، من خلال منهجه الأصوليّ القائم على إحياء التراث

---

[40] Read Michael Reeves' chapter on Barth in *Introducing Major Theologians: From the Apostolic Fathers to the Twentieth Century* (Crossway, March 2015; IVP-UK). You can watch a talk from Reeves below: https://www.thegospelcoalition.org/blogs/justin-taylor/what-should-evangelicals-make-of-karl-barth/

[41] حناجر جرجيس الخضيري ، تاريخ الفكر المسيحي ،المجلد الثاني ، ص191

[42] https://www.thegospelcoalition.org/blogs/justin-taylor/what-should-evangelicals-make-of-karl-barth/

[43] يحي كبير ، اللاهوت الحديث ومناهجه دراسة حول مراحل تطوره ، م اللاهوت المعاصر دراسات نقدية ، ، ص 285.

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الكتابيّ، ولعلَّ هذا جعل الإنجيليين الأميركيين متشككين فيه، ومردُّ شكِّهم هذا إلى تلك الرؤية الأصوليَّة القائمة على جعل العصمة للمسيح وليس الكتاب المقدس، وفي الوقت نفسه نجد أنَّ اتباعه كانوا يجدون في موقف الأصوليّ من عصمة المسيح موقفًا مبالغًا فيه مما دفعهم هذا إلى التخلي عن بارت (إلى حد أن بعض البارتيين السابقين بدؤوا يدافعون عن "موت الله"). ومع ذلك ، فإنه لا يزال أهم لاهوتيّ في القرن العشرين.

ولكن ما هو هذا الموقف الذي اتخذه وجعله محل نقد؟ إنَّه يتمثلفي تأكيده (أن الانسان لا يستطيع معرفة الله ، إلا إذا أراد الله أن يكشف له ذاته ، و إذ يفعل ذلك "أي كشف الذات الإلهية "ستمكن الإنسان من استخدام عقله و التأمل فيه لمعرفة الله يجب أن لا تبدأ من فكرة الله المجردة وتربطها بعد ذلك بإله المسيحية ، بل يجب البدء من كلمته المستكشفة "أي عيسى المسيح ") [44].

ويضاف إلى تلك الرؤية أنَّ موقفه النقديّ الاحتجاجيّ على الحرب مازال حاضرًا؛ إذ بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثانية صار كارل بارت صوتا مهما لدعم كل من الندم الألمانيّ والمصالحة مع الكنائس في الخارج. وكأنهم بهذا يكفرون عن آثار الحرب ، ولعلَّ هذا الموقف جعله في الخمسينات يتخذ موقفا عنيفًا من الحرب الباردة وخصوصا ظاهرة سباق التسلح النوويّ بجهوده الفرديَّة الدعويَّة و أيضا في تضامن حاسم مع المسيحيين وراء "الستار الحديديّ "(اشارة الى الكتله الشيوعية يومها)، للتغلب على الحرب الباردة بين الشرق والغرب[45] .

وبعد زيارته إلى الولايات المتحدة في سنة (1962) و بعد فترة وجيزة من التقاعد، سافر بارت إلى جميع أنحاء البلاد لمدة سبعة أسابيع لتقديم سلسلة من المحاضرات في كلية برينستون اللاهوتية، وجامعة شيكاغو، الاتحاد اللاهوتيّ الاتحاد وسان فرانسيسكو اللاهوتيّ اللاهوتيّ . في برينستون، كان بات في لقاء مع مارتن لوثر كينغ الابن، الذي أسف عليه بارت كونه كان لقاءً موجزا جدا. وفي السنة نفسها ظهرت صورة بارت أيضا على غلاف مجلة تايم، التي أظهرت أن نفوذه قد وصل إلى الثقافة الدينيَّة الأميركيَّة السائدة. وقد توفي كارل بارث في(10 ديسمبر 1968) في منزله في برودرهولز لين في بازل [46].

الخاتمة

[44] المرجع نفسه ، ص 284.

[45] Shocking liberalism: https://translate.google.iq/?hl=ar&tab=mT&authuser=0#en/ar/Shocking%20liberalism

[46] BIOGRAPHY,KARL BARTH, http://barth.ptsem.edu/karl-barth/biography

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- إنَّ هدف علم اللاهوت لا يتوقف عند تعريف المعتقدات المسيحيَّة بل يتجاوز ذلك ليفضي إلى شرحها وتعليلها ومعنى شرحها الإتيان بمعنى مترابط لهذا المعتقدات والتعليل هو إعطاء الأدلة التي تثبت أنها معتقدات حقة ... ؛ لأنَّ كلمة اللاهوت هي محاولة لتحديد الرؤية الإلهية لصفة ، أو لبيئة معينة .
- مصادر علم اللاهوت هي : الكتاب المقدس ، المجتمع أو الأمة ، العقل ، والمعرفة ، و كانت تلك المرجعيات تمثل السلطة التي تمنح اللاهوت المرجعية سواء كانت نص أم إجماع أم عقل ؛ فقد تنوعت بتنوع البيئة التاريخيَّة وما صاحبها من مؤثرات سياسيَّة أو اجتماعيَّة أو ثقافيَّة أو علميَّة .
- حاربت الكنيسة الكاثوليكيَّة بصورة دونكيشوتية الردة الحديثة نحو العالم الباطنيّ و التمايز الحديث بين النطاقات بوصفها طواحين مهرطقة .
- كان كارل بارت واحدًا من رجال اللاهوت البروتستانتيّ المهمين ، وقد عرف بسعة الاطلاع ، وهذا الاستنتاج مستفاد من كونه كان غزير الإنتاج ؛ حتى عدَّ من ألمع اللاهوتيين البروتستانت في القرن العشرين ؛ ولكنَّه يتميز بحسب أغلب الكتب التي تحدثت عنه بأنَّه وضع أسس العلم المعروف باسم (لاهوت الجدل أو لاهوت الكلمة.)
- عرف هذا التوجه اللاهوتيّ بقيامه على الجانب الحجاجيّ؛ فهو وليد تلك المرجعيات المتنوعة التي انفتح عليها كارل بارت . اذ عرف هذا اللاهوت بوصفه نمطًا جديدًا من التفكير اللاهوتيّ على صعيدي المنهج والتنظيم الذي يقدمه لعقائد الجماعات المسيحيَّة غير الكاثوليكيَّة.
- يقوم منهجه على أساس انكار أي فاصلة تاريخيَّة بين عصر الحداثة والتراث المسيحيّ و بذلك أراد إحياء الخطاب الالهيّ الأوّل، وهو يتحرك على مستوى بث الحياة مرة أخرى للمرجعيات التي فقدت حياتها في هذا العصر.
- إن أسلوبه في الواقع هو التحدث بشكل يعيد لهذه المرجعيات القدرة على مخاطبة الإنسان المسيحيّ في عصر الحداثة ، فهو يريد استنطاق الكتاب المقدس مرة ثانية .
- كان ايضا يوصف من المؤرخين بأنَّه أبو **الأرثوذكسيَّة الجديدة** Got Questions .
- جاءت أصوليته بعد تحوله من اللاهوت التحرري إلى لاهوت الجدل الأصوليّ بعد تلك التحولات التي أصابت منهجه الفكريّ .

المجلد العاشر/ العدد الثاني /01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- أراد كارل بارت - وهو يواجه إرث الإصلاح – أن يكوّن ذاته فأخذ يتحمل مسؤولية إعلان إيمانه الخاص الذي يؤمن به؛ لأنَّ البروتستانتيَّة كانت تفرض على كل امرئ أن يدرس الكتب المقدسة ليجد أخيراً الله بواسطة يسوع المسيح ، وليحتل مكانه في المجتمع المؤمن.
- عدَّ بعض المؤرخين كارل بارت صاحب رؤية تجديديَّة في ما اصبح يعرف باللاهوت الأصولي وهو ما ظهر خلال تلك الحوارات التي كان يجريها مع بعض رجال التعليم اللاهوتيّ أثناء البحث والدراسة .
- يشدد فكر بارت اللاهوتي على سيادة الإله ، خاصةً خلال تفسيره للمذهب الكالفينيّ القائل بوجود الاصطفاء.
- عدَّ بارت أن العهد الجديد من بدايته إلى نهايته يعدُّ شهادةً حيَّةً عن حقيقة يسوع التاريخيَّة ، وأقتنع بارت أن الأمور التاريخيَّة محددة، فهي ترتبط بالنصوص ولا تتجاوزها، ولذلك اقترح استخدام التفسير اللاهوتيّ بدلًا من التفسير التاريخيّ .